

صَفَرَاتُ اجْتِمَاعِيَّة

قيمة التليفون :

لا يجد التليفون الانتشار الذى يستحق فى بلادنا. ولعل لارتفاع القيمة فى الاشتراك سببا لهذا. ولكن حتى مع القيمة العالية الحاضرة للاشتراك لا يزال التليفون من الأدوات المتزلية التى يحتاج اليها كثير من المنازل . فان ربة البيت التى اعتادت استعمالها التليفون تشعر أنها لا تستطيع الاستغناء عنه لوفرة ما يؤديه لها من خدمات . بل هو ينفى عن استخدام الخادم فى كثير من الشؤون . وفى الولايات المتحدة الأمريكية حيث لا يكاد يخلو منزل من التليفون تستخدم ربة البيت هذا الجهاز فى شراء حاجاتها من الطعام كل يوم بخطابة البقال والحزاز والجهاز وهى قاعدة وادعة فتأتى اليها كل هذه الأشياء . بل هى تخاطب به الحوضى لكى ينظرها على باب منزلها فى وقت معين . وهى تشتري به التذكرة للمسرح أو الدار السينمائية أو تستدعى النجار لبعض الترميمات أو غير ذلك مما يحتاج عندنا الى استخدام خادم بل خدم .

ونحن فى مصر نعمتسهل استخدام الخدم لأننا فى أغلب الأحيان نستقدمهم من الريف بأجور منخفضة . ولكن كثيرا من هؤلاء الخدم يحملون فى أجسامهم أمراضا مختلفة تنتقل الى أعضاء البيت وخاصة صغارهم . وتعلم الخدام الريفى شاق يحتاج الى السنوات لأننا نضطر الى أن نغرس فيه اذواقا جديدة. ولو كان مثل هؤلاء الخدم يستقرون فى المنازل لكان لهذا المجهود فى تعليمهم ثمرة ولكن المألوف أنهم يعودون الى الريف عندما يبلغون سن الشباب فان الخدام يخضع لنداء الحقل والخدمة تطمح الى الزواج فى قريتها .

وإزاء هذه الحال نظن ان ربة البيت تحسن إذا هى اشتركت فى التليفون واستغنت به عن بعض الخدم .

البائع الجوال :

تزدحم القاهرة وسائر المدن الكبرى فى بلادنا بالباعة الجوالين الذين يتسلقون على الترام ويظلون الكراسى فى القهوات ويصعدون السابلة فى الطريق ويعرضون بضائعهم فى الحاح وحق لا يصدمهم الرفض ولا يابهون بالتعنيف. وهم فى بيعهم يسامون ويتغفلون المشتري إلى أقصى حد ممكن .

والبائع الجائل هو في معظم الأحيان متعطل لا يحسن عملا . وهو أيضا فار من الريف لا يكاد يبلغ المدينة حتى يتعرف الى تجار الجملة فيشتري منهم بالنقد أو بالنسيئة قليلا من البضائع التي يجعلها ذريعة لكي يتفشى بها في شوارع المدينة . وهو عندما يريد أن حرفته هذه لا تكفي معاشه لا يستنكف من السرقة . بل أن البيع في الشوارع هو في أحيان كثيرة ذريعة الى السرقة . فأن باعة الفواكه والخضراوات الذين يبيعون أشياءهم على أبواب المنازل يدرسون أحوال هذه المنازل وما فيها من وسائل الوقاية والحماية وما تحمل ربة البيت من مصوغات فيكون لديهم من كل ذلك طريق الى الجريمة سواء بأنفسهم أو بمن يرشدون من المجرمين . زد على هذا أن البائع الجائل يفسد على التاجر الصغير الذي يستقر في دكانه صناعته اذ هو يبيع بعض البضائع بأثمان منخفضة . وقد نطن أن هذا الانخفاض من مصلحة الجمهور ولكن الحقيقة أن هذه المصلحة إما وقتية وإما غير حقيقية . لأن هذا البائع إنما يشتري النفاية والنقاسة . والتاجر المستقر يحتاج الى الحماية كما أن شوارعنا وبيوتنا يجب أن تكون في مأمن من البائع الجوال . والتجارة لا تتأصل وتتأهل بالتاجر الجوال لأن مكانها هو الدكان الصغير والمتجر الكبير .

العلم خير أم شر :

المتأمل للحرب القائمة لا يسهه الا الشعور بأن العلم هو السبب لهذه الكوارث العاجلة المفاجئة التي نراها في الانتصار العاجل لأحد الجيوش على جيش آخر . ففي هذه الحرب نرى أن الرق الذي أصابته صناعات المعادن والطيران والغازات قد استخدم للقتال بدلا من أن يستخدم في فنون الحضارة .

والعلماء يدفعون هذه التهمة بأن العلم محايد لا شأن له بالأخلاق وهو يخدم الخير والشر معا . فيجب على الذين يستخدمونه ألا يكونوا أشرارا حتى يجدوا منه الخير فقط .

وهذا صحيح لأن العلم لا شأن له بالأخلاق . فأن العلم ينقذ الأطفال من الموت ولكنه لا يحسب لزيادة السكان بهذا الاقتاذ وما تؤدي اليه هذه الزيادة من الرغبة الوطنية في الغزو والاعتداء .

والحقيقة أن الأخلاق إنما يتركها ويؤلفها رجال الدين والآداب والفلسفة . لأن كل هؤلاء يسمون الحال المثلى التي يجب أن تطمح اليها الأمة وتصوغ سلوكها بحيث تصل الى هذه الحال . فاذا خاب هؤلاء الرجال في رسم هذه الحال بحيث صارت المنشآت المشوذة أقرب الى الشر منها الى الخير ، صار المجتمع شريرا يستخدم العلم للحرب والريذة والفساد بدلا من استخدامه للحضارة والفضيلة والصلاح .

فالعلم منهاج أو طريق أو وسيلة. ولكل هؤلاء غاية. والذي يقرر هذه الغاية هو الدين أولاً ثم الآداب ثم الفلسفة. فيجب أن تأتي هذه الأشياء العناية التي يلقاها العلم في أوروبا. وربما كان انحطاط الفلسفة والآداب وإهمال الدين في أوروبا أعظم الأسباب لاستخدام العلم للحرب. فإن الدين قد تنهقر في جميع الأقطار الأوروبية ولم يعد له ذلك الساطن القديم على النفوس. وكذلك لا يسود أوروبا في عصرنا جو فلسفي أو أدبي أوفى، وكذلك الجحش الذي يسودها قبل قرن. وتقدم العلم وتأخر الفلسفة والفنون هو بمثابة العناية بالوسيلة وإهمال الغاية. ومن هنا هذا الخبط والاضطراب في المبادئ التي تؤدي إلى الحرب.

الرياضة والمرأة :

حاجة المرأة إلى الصحة لا تقل عن حاجة الرجل. والرياضة من أكبر الوسائل وأمتها لحفظ الصحة. فإن ممارستها يجد لذة كما يجد صحة. وقد عمت الرياضة بين الجلسين في جميع الأقطار المتعدنة وأنشئت الأندية التي تضم أعضاء من أحد الجنس لى يمارسوا الألعاب المختلفة. فهناك مثلاً أندية السباحة أو التنس أو غير ذلك.

وقد انتفعت المرأة الأوروبية والأمريكية بأقبالها على الرياضة في صحتها وقوامها. فإن النشاط الذي يتطلبه اللعب يوزد خديها بدم الصحة كما أن الحركات الرياضية تحول دون ترهلها وتحفظ لها جمالها بالانصر التحيف والمضلات المفتولة والقوام المعتدل.

وقد انتشرت الرياضة بيننا ولكنها اقتصرت على الرجال دون النساء. ولذلك تجد الترهل والميل إلى السمن أكثر في النساء مما هو في الرجال. وقد شرعت نساء وفتيات الطبقة الراقية عندنا في تعلم بعض الألعاب ولكنهن قلة كما أن نساء الطبقة المتوسطة لا تكاد تعرف الرياضة. أما نساء الطبقات الفقيرة فلهن في حاجة إلى الألعاب الرياضية لأنهن يجدن في عملهن — سواء في الريف أم في المدينة — ما يغنين عنها.

فيجب أن نلقت إلى قيمة الرياضة ونشردا بين نساء الطبقة المتوسطة وذلك بتأليف الأندية النسوية لهذه الغاية. ويجب أن نحوله دون الظاهرة السيئة التي تنفشي في مثل هذه الأندية وهي أن يقتصر معظم الأعضاء على التفرج دون العمل. ولنا نحتاج إلى إبراز الناحية الأخلاقية للألعاب الرياضية أو ما نسميه "الروح الرياضي" فإن المرأة تنفع به كما ينفع الرجل سواء.

مهمة المحامي :

هناك من يعتقد أن مهمة المحامي تقتضيه الدفاع حتى وهو يعلم أن موكله أئيم . وهم يبنون هذا الاعتقاد على أن في المحكمة هيئة للاتهام هي النيابة العمومية . فيجب أن يكون بالمحكمة أيضا هيئة للتبرئة في شخص المحامي . ولذلك يرى هؤلاء أنه لا يجوز للمحامي أن يرفض الدفاع حتى عن أئيم لأنه لو فعل لكان في فعله هذا تسليم بأن هذا المتهم الأئيم يجب أن يواجه هيئة مختصة بالاتهام لها الحق أو العادة بأن تبالغ وتسرف في الاتهام دون أن تجد هيئة أخرى تردها وتنبهها إلى الانصاف أو الاعتدال ، بل لقد بلغ من برتراند روسل العالم الانجليزي أن يقترح إيجاد هيئة رسمية للتبرئة في كل محكمة لكي تنف في وجه هيئة الاتهام أى النيابة العمومية ونعها من الغلو أو التعامل على المتهم .

وفي ضوء هذه الحال نظن أن الآراء تختلف في شأن الأستاذ هنري روبر المحامي الفرنسي الذي رفض أن يدافع عن مدام كايو التي قتلت خصما سياسيا زوجها المسيو كايو لأنها خشيت أن يتقاضي هذا الخصم في تفضيح زوجها والتشجيع عليه حتى يسقطه من مكانته الاجتماعية . وقد رفض الأستاذ روبر الدفاع عنها لأنه اعتقد أنها أئيمة وتستحق العقوبة .

الوصايا العشر للزواج :

أندريه موروا كاتب معروف في فرنسا . وقد وضع هذه الوصايا للزواج الموفق بعد أن مهد لها بأن كل زواج هو مقامرة . ولكن حتى المقامرة لا تسير بلا قواعد . قال وهو يوجه الكلام للفنأة :

- ١ — لا تتزوجي أتومبيلا . أى لا تطلي الترف .
- ٢ — لا تتظري الكمال في زوجك . وحسبك منه تربية وأخلاقا .
- ٣ — لا تتزوجي وأنت صغيرة السن . لأن الخلافات كثيرة في هذه السن . وكثير من أسباب الطلاق يرجع إلى أن الزوجين تزوجا وهما في سن صغيرة .
- ٤ — لا تدعى بالإغراء الجنسي وتحسبه حبا . واجعلي الحياة المأمونة أول أغراضك من الزواج .
- ٥ — لا تجعلى هدفك المعيشة العالية . وكثير من الشبان تركوا خطيباتهم لأنهم خشوا ألا يتمكنوا من القيام بتكاليف العيش على المستوى الذي راوه في عائلتهم .

- ٦ — لا تتروجى رجلا يخالف أذواقك كل المخالفة .
- ٧ — تعلمى وادرسى . لأن الدراسة تجعل الفتاة زميلة زوجها التى يرتاح إلى حديثها .
- ٨ — لا تستقل كل الاستقلال باتخاذ عمل تكسب منه .
- ٩ — عاملى زوجك باعتباره زميلك وليس باعتباره الشخص الذى كلف أن يعولك .
- ١٠ — لا تندفى إلى محكمة الطلاق لكل خلاف .

العلم : نعمة أم نقمة ؟

كلاهما . هذا هو ما يجب به الدكتور برنارد لويل فى كتاب " العلم والحضارة " . فإنه يعدد المكتشفات والمخترعات ويبين فوائدها الاجتماعية والصحية ولكنه يذكر أيضا مضارها . على أنه مع ذلك يختلف عن أولئك العلماء الذين عالجوا هذا الموضوع من حيث أنه يرى أن العلماء فى مجموعهم مسئولون عن جميع الرزايا التى عادت على الناس من العلم . وأنه كان يجب على العلماء حبس المكتشفات والمخترعات عن الجمهور ما داموا يحسون أن هذا الجمهور ليس كفئا للانتفاع بها فقط دون الاستضرار منها . ثم هو بعد ذلك يميل إلى الظن بأنه كان يمكن الانتفاع بالعلم دون الخوف من الإساءة فى استعماله لو كانت الحكومات فى أيدي العلماء دون الساسة . ولكنه حتى هنا ليس واثقا من نزاهة العلماء .

وهو بعد ذلك يصف المكتشفات الكيماوية ، ويعدد المواد النافعة التى تستخرج من الفحم وهى تبلغ ألفى مادة . ولكن مع أن هذه المواد جميعها يمكن استخدامها للرق البشرى ، فإن بعضها يمكن استخدامه لهلاك البشر فى الحروب . وكذلك الشأن فى الأسمدة الكيماوية ، فإنه يمكن أن تستعمل لزيادة المحصولات الزراعية أو للفتك بالجنود والمدنيين فى الحروب . بل إن هذه الزيادة فى المحصولات لا تجدد التنظيم الاجتماعى الذى يمكن الناس من الانتفاع بها ، ومن هنا نجد المحصول الوفير مع القحط العام . وهناك أمراض وبائية كثيرة يمكن قمعها ولكن الحكومات لا تستخدم الوسائل العلمية لهذا القمع ، بل ترك هذه الأمراض تنفث وتفرض ضريبة الموت على مئات الألوف من أبنائها . وأكثر من هذا ترك الحكومات الزراعة فى نظامها البدائى الحاضر حيث يعجز المالكون عن استخدام العلم فى اختيار البذور أو معالجة الأمراض فتقل المحصولات أو تهلك بالفطريات والديدان .

وخلاصة القول إن الدكتور برنارد لويل يرى أن العلم نعمة ، ولكنه يخرج من أيدي العلماء إلى أيدي الساسة فيجعلون منه نقمة ، لأنهم يحيلونه إلى وسيلة للحرب ، ثم هم أيضا لا يستغلونه الاستغلال الكافى فى المجتمع ، ولو فعلوا لمحي الفقر من العالم وعم الهناء جميع السكان .

قيص السعادة :

من الأساطير المأثورة أن ملكا عظيما من الملوك التمداء كان متعلقا بابنه وهو شاب سرى كان يحبه وينشد سعادته. وحدث أن رأى هذا الملك أن ابنه قد ضلت وجهه الكتابة وشمله الفتور حتى صار لا ينشط الى صيد ولا يأنس بحديث ومع كل ما قام به الملك من إسداء النصائح لابنه على المرح والنشاط بقي الشاب جامدا مغتما .

وأخيرا بعث الملك في طلب الحكماء لكي يستشيرهم . وبعد أن فحص هؤلاء الحكماء عن حال ابنه أشاروا بالبحث عن رجل سعيد حتى إذا احتدوا اليه نزعوا قيصه وألبسوه لهذا الشاب وأصاخ الملك إلى مشورتهم وبعث رسله ينشدون هذا السعيد الذي يمكنهم أن ينزعوا قيصه ويأتوا به للملك . وبعد تطواف وتفتيش وجدوا هذا الرجل السعيد . ولكنهم وجدوه بلا قيص لأنه كان من الفاقة بحيث عجز عن شراء القميص .

وهنا المفزى . فإن السعادة حال داخلية لا تحتاج إلى وفرة في المال أو كثرة في العقار أو قصور وخدم وأعوان وإنما هي تنبع من القلب أو هي نظر واتجاه في النفس وليست ممتلكات تحيط بالشخص .

الناس والزمان

غضب الخليفة على الخطاط ابن مقلة فانصرف عنه من كانوا يتقربون إليه عند حظوته . ولكن محتته لم تطل إلا نصف يوم وعاد الخليفة قربة وأرضاه ، فقال :

تخالف الناس والزمان	فحيث كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم	فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون عني	عودوا فقد عاد لي الزمان